الرقمان التركيَّان العثمانيَّان للكرنتينة في الخليل

أ. د. يونس عمرو*

* رئيس جامعة القدس المفتوحة

ملخص

تعالج الدراسة من خلال الترجمة والتحليل والمقارنة رقمين عثمانيين أثريين مثبتين فوق العقد نصف البرميلي لمدخل مبنى الكرنتينا أو مبنى الحجر الصحي في مدينة خليل الرحمن، والرقمان هما: رقم الطغراء أو التوقيع السلطاني، ورقم التوثيق العثماني للمبنى المسمى باللغة التركية (تحفظ خانة).

وقد أقتضت الدراسة معالجة الرقمين وفق المنهج العلمي في معالجة الرقوم والكتابات على الأجسام الصلبة، فقد قام الباحث بعملية التنظيف وإجراء القياسات وتصوير الرقمين ورسمهما رسماً تفريغياً ثم وصفهما وصفاً دقيقاً من حيث الشكل والمحتوى.

وقد أظهرت الدراسة أن الرقمين يوثقان معلماً من المعالم الحضارية والانسانية، كما أنهما يشكلان آية من آيات الخط الفارسي، وهذا يدعونا الى وجوب المحافظة عليهما كونهما شواهد صدق دآلة على وجودنا المتجذر في هذه الارض عبر عصور التاريخ بالرغم من عوادي الزمن.

Abstract

This article deals with two archiological inscriptions from the ottoman period, fixed to the front of the main entrance of Al-Karantina Building in Hebron.

The two inscriptions are Altagra' or the Sultany Signature, and the other is documentary inscription for the building called (Tahavoth Khanah) in Turkish.

The article required to deal scientifically with the two inscriptions as carved in solids. The researcher has cleaned them, took measurements, took camera pictures, and has drown them by hand. He described them in details in terms of shape and contents.

The article showed that the two inscriptions are documenting one of civilization statues. They represent a beauty of Arabic calligraphy, (farisi style inscription). This must prompt us to save and maintain them as a symbol of our roots in this land for a long history.

الرقمان التركيَّان العثمانيَّان للكرنتينة في الخليل

تمهيد:

قبل الحديث على هذين الرقمين، فإن من الضروري التعريف بالمؤسسة التي يوثقان لوجودها في مدينة خليل الرحمن، ألا وهي الكرنتينة، كمنشأة معروفة بهذا الاسم عند أهل الخليل ومحيطها منذ القدم، وما زالت معروفة به إلى أيامنا الحاضرة، حتى غلب اسمها على الحي المحيط بها. تقع هذه المؤسسة في الجهة الجنوبية الغربية من المسجد الإبراهيمي، ملاصقة للمقبرة الكبرى في ناحيتها الغربية، وتفصل بين هذه المقبرة وتل الرميدة من ناحيته الشرقية، إذ تقوم يساراً على الطريق الصاعد في الشعب الفاصل بين المقبرة والتل، وهو الطريق المؤدي إلى وادي الهرية، والذي يعرف باسم: (عقبة الكرنتينة) قديماً وما زال.

أما المبنى، فهو عبارة عن سور حجري مرتفع يتخذ شكل المربع، ويضم بداخله عدداً من المباني والغرف، التي تستخدم اليوم كمركز صحي للبلدة القديمة، والأحياء المجاورة لها من خليل الرحمن الشرقية، ولهذا السور مدخل ضخم وحيد، يفضي شمالاً، يعلوه الرقمان اللذان نحن بصددهما.

وفيما يتعلق باسم: (كرنتينة)، فهو اسم إنجليزي الأصل، كتحريف لكلمة (Quarantine)، التي تعني (الحجر الصحي)، وقد أطلق هذا الاسم على هذه المؤسسة، منذ الانتداب البريطاني على بلادنا في العقد الثاني من القرن الماضي، بدلاً من الاسم التركي العثماني، الذي كان يطلق عليها أيام الأتراك العثمانيين، الذين أنشأوها، وهو الاسم: (تحفظخانة) – وهذا ما سيأتي في نص الرقم التوثيقي – فهذا الاسم ينبئ بهدف هذه المنشأة، وهو الحجر الصحي الذي كان يفرض على القادمين إلى المدينة من خارجها، خوفاً من تفشي ما قد يحملونه معهم من الأمراض السارية في البلاد الوافدين منها، بحيث إذا قضى الوافد المدة المقررة للحجر، وبقي حيّاً، يطلق سراحه ليدخل إلى المدينة، وان مات، فقد يدفن في المقبرة القريبة خارج الأسوار، بل أن هناك من دفن في الداخل، وهذا ما هو ظاهر من وجود

بعض القبور العتيقة في الساحات الداخلية في قلب الأسوار.

أنشئت هذه المؤسسة في عهد السلطان العثماني عبد المجيد بن محمود عام ١٢٦٥هـ، وفق ١٨٤٨م، وذلك حسب تاريخ الرقم الثاني، كما سيأتي.

موقع الرقمين:

ثبت الرقمان فوق العقد نصف البرميلي لمدخل السور الوحيد، في الواجهة الأمامية الخارجية، وقد حفرا في لوحتين رخاميتين، من الرخام الأبيض النقي، الا من توشيحات رمادية خفيفة في لوحة الرقم التوثيقي. ومراعاة للدقة في الوصف، ولما يوجد من اختلافات في الحجم والشكل وطراز الخط، آثرنا الحديث على كل رقم على حدة.

معالجة الرقمين:

منذ بضعة أعوام، وفي معرض جهودي الشخصية في تتبع هذه الرقوم في مدينة الخليل، قمت بمعالجة لوحتي الرقمين رغم ارتفاعهما ما يقارب خمسة أمتار عن الأرض، مستعيناً بآلية من بلدية الخليل، ثم قمت بتنظيفهما وإجراء القياسات المطلوبة، وتصويرهما ورسمهما رسماً تفريغياً حسب أصول المنهج العلمي في معالجة الرقوم والكتابات على الأجسام الصلبة، ومنها الحجر، ثم وصفهما بدقة بالمشاهدة عن قرب.

أولاً: رقم الطغراء:

تقوم لوحته فوق لوحة الرقم التوثيقي، بحيث جاءت بمثابة تاج لها، في شكلها البيضاوي، الذي يقوم على قاعدة تتخذ نصف قاعدة مثلث، ترتكز على الضلع العلوي للوحة التوثيق. وقد أحيطت اللوحة بإكليل بيضاوي تشكل من أفاريز ورقية، تشبه أوراق النخيل أو الغار أو الزيتون، تنتهي من الأسفل بنشطة تربط الطرفين السفليين لهذا الإكليل، الذي تزينه في أعلاه حبات ثمر تشبه التفاح، وعددها سبع، مصفوفة في أربع ثمرات في الصف السفلي، وثلاث ثمرات في الصف العلوي. وبفعل الزمن تعرض هذا الإطار الإكليلي إلى تهشمات في ناحيته العلوية، وهذا ظاهر في صورة ورسم الرقم.

وتبلغ قياسات اللوحة بين أقصى نقطتين في الشكل البيضاوي طولاً، ثمانية وأربعين

سنتمتراً في وضع أفقي، أما العرض، فيبلغ بين أقصى نقطتين في الشكل البيضاوي، حوالي خمسة وثلاثين سنتمتراً في وضع رأسي، في حين بلغ عرض الإكليل في أوسع مدى له من الأسفل ستة سنتمترات، وفي أضيق مدى له من الأعلى، بلغ ثلاثة سنتمترات.

رسم الرقم ونصه:

رُسم رقم الطغراء في اللوحة نافراً، بطراز الخط الهيمايوني، وقد حفر على يمين الطغراء شكل زخرفي نباتي نافر، وهو عبارة عن عرق اشتمل على زهرتين تحيط بهما أوراق صغيرة.

وقبل الحديث عن نص الرقم، فإن من المفيد أن نتطرق إلى الطغراء، كطراز من طرز الخط العربي. فالطغراء، تلفظ بصورة (طغرى) و (طرَّة)، وهي صورة من التحريف اللفظي في النطق، وهي تعني الإشارة السلطانية أو الملكية، بحيث كانت تمهر بها الأوامر السلطانية أو الملكية، وتتضمن اسم السلطان ولقبه، ودعاء له بالظفر، ويرجع تاريخ استخدام هذا الطراز كتوقيع ملكي، إلى فترة متقدمة على الفترة العثمانية من التاريخ الإسلامي، غير أن الطغراء اشتهرت وازدهرت كطراز فني من أروع طرز الخط العربي بخاصة، والفن الإسلامي بعامة، في العهد العثماني، ولعل هذا يفسر حياكة الأسطورة الشهيرة التي أوردتها المصادر حول أصل الطغراء، ومفادها، أن السلطان بايزيد العثماني كان قد تلقى إنذاراً مهيناً من القائد المغولي تيمورلنك، موقعاً ببصمة كفه الملطخ بالدم، لجهله بالقراءة والكتابة، فما كان من السلطان بايزيد، إلا أن رد عليه برد يليق بهذا الإنذار، ووقعه بالأسلوب نفسه، ولما كان شكل بصمة الكف على شكل الطائر، ترسخ هذا الرسم وتطور هذا الطراز من التوقيع، عند سلاطين آل عثمان، متخذاً أسلوباً خاصاً في وضع اليد عند التوقيع، بحيث يخفى الأصبع الإبهام، والاصبع الخنصر، وتبقى الأصابع الثلاثة الوسطى ممدودة، وتتم بصمة الكف على هذا الشكل[1].

ولما كان طراز الطغراء قد اتخذ شكل الطائر، حيكت أساطير حول هذه المسألة، تتعلق بالطيور، بحيث اسقط اسم طائر (الهيمايون) على طراز الطغراء وخطه، ليعرف بالخط الهيمايوني، والهيمايون أصلاً هو طائر أسطوري في التراث التركي، كان يستخدم لاختيار الملك، بحيث يطلق فوق رؤوس الناس، ومن يسقط على رأسه منهم، يتوج ملكاً.[2] أما كلمة طغراء من حيث المعنى، فهي في الأصل كلمة تتارية قديمة معناها: التوقيع الملكي. وقد دخلت بهذا المعنى في اللغة الفارسية[3]. كما توجد هذه الكلمة في اللغة التركية العثمانية

بالمعنى نفسه الذي في الفارسية، وهو توقيع السلطان، كما توجد بمعنى النسر أيضاً[٤] وكذلك بالمعاني نفسها في اللغة العربية[٥].

أما الخط الهيمايوني، فهو منبثق من الخط الديواني، كواحد من طرز الخطوط العربية الجميلة، التي استخدمت في ديوان الدولة العثمانية كخط رسمي، وهو تطور مزج بين خطي الثلث والنسخ والخط الريحاني، وكان أول من ضبط قواعد طراز هذا الخط، الخطاط إبراهيم منيف، الذي عاش في عهد السلطان محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ، وفق١٤٥٣م، وكان أول من استخدم هذا الطراز في ديوان الدولة.[٦] وتوضيحاً لخط الطغراء الهيمايوني جعلنا نماذج من حروفه، تقابلها نماذج من حروف الخط الديواني، في هذه المصفوفة الخاصة، لملاحظة الشبه بينهما، وذلك اعتماداً على تفريع حروف من رسم الطغراء نفسها.

الأبجدي	الهيمايوني	الديواني
أ		
ح		
د		
ر		
ط		
ع		
م		

الخط الهيمايوني (الطغراء) مقارناً بالخط الديواني.

بإنعام النظر في هذه النماذج، نلاحظ أن حرف الألف في الخط الهيمايوني حسب ما جاء في الطغراء، قد اتخذ شكلين، الأول على شكل نصل السيف، والثاني يشبه نصل الخنجر، وبمقارنتهما برسم الألف في الخط الديواني، نلاحظ أن فرقاً بسيطاً بين الشكلين تمثل في انحناء رأس الألف في الهيمايوني إلى اليمين، في الشكل الخنجري، في حين نرى انحناء رأس الألف في الديواني جاء إلى اليسار، مع تشابه بين الشكلين في انحناء جسم الحرفين،

علماً بأن الشكل السيفي في الهيمايوني، يبقى بلا شبه في الديواني.

أما حرف الحاء وما أعجم منه، كما هو واضح في النموذج، فقد جاء مغلقاً في الطرازين، الهيمايوني والديواني.

ثم حرف الدال، فيلاحظ أنه جاء في الهيمايوني على شكلين، أولهما يتقارب إلى حد ما مع شكل الدال في الديواني، أما الثاني، فقد اتخذ شكل القصعة، وهذا ما يتوافق مع رسم الطغراء، مما لا وجود له في الديواني.

كما أن حرف الراء في الهيمايوني حسب الطغراء، قد اتخذ شكلاً شبه هلالي، ولا يمت بصلة لشكل الدال في الخط الديواني، غير أن وجهاً من الشبه يمكن الإشارة إليه، وهو الانحناء.

وحرف الطاء، يوجد شبه بين الشكلين في كل من الطرازين، غير أن الفارق بينهما، هو أن انحناء ألف الطاء في الهيمايوني نحو اليمين، وفي الديواني نحو اليسار، وهذا ما لاحظناه من شبه في الألف، وبخاصة ذات الشكل الحنجري في الهيمايوني كما سبقت الإشارة.

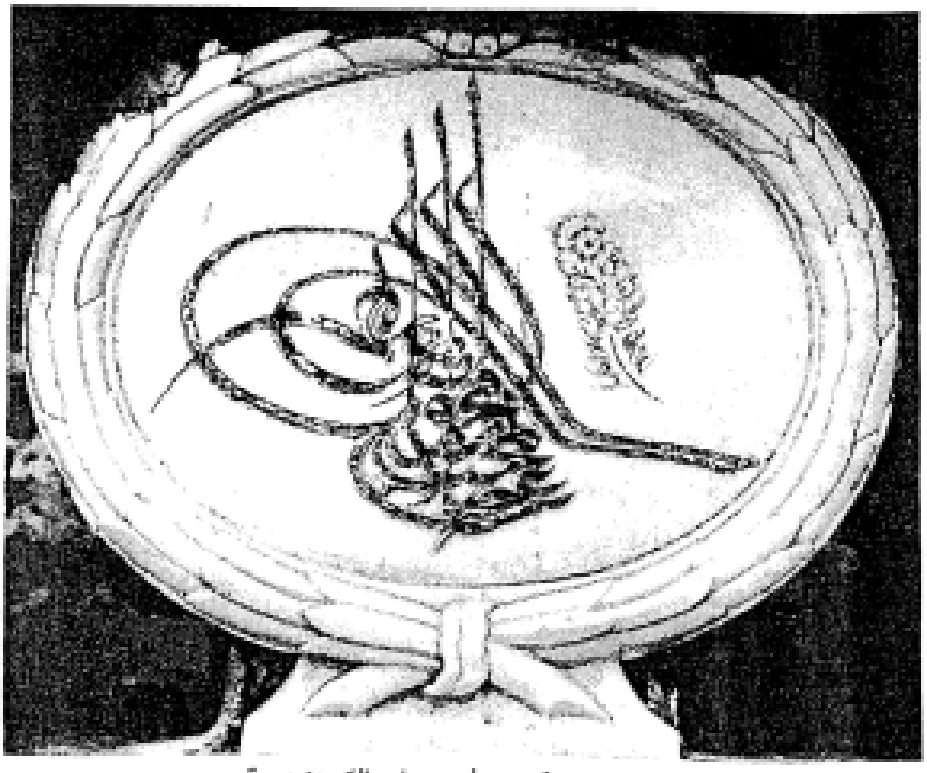

صورة رقم طغراء الكرنتينة

الرسم التقريبي لرقم طغراء الكرنتينة

وأما حرف العين، فالشبه واضح بين الشكلين. ثم حرف الميم، هو الآخر يتضح الشبه فيه بين الطرازين، مع فارق في اتساع الاستدارة في ذيل الهيمايوني، موافقة لأسلوب رسم الطغراء.

نص الطغراء:

" عَبْدُ المَجِيدِ[٧] خَانْ[٨] . ابْنُ مَحْمُودِ[٩] دَامَ مُظَفَّراً[١٠] " .

كما هو واضح في صورة ورسم الطغراء، يمكن تتبع هذا النص بانعام النظر والتدقيق في تتبع حروف الكلمات المتشابكة، ليبدو هذا النص توقيعاً سلطانياً بلا شك.

ثانياً: الرقم التوثيقي التركي العثماني:

توجد لوحة هذا الرقم، فوق العقد نصف البرميلي في الواجهة الخارجية لمدخل سور الكرنتينة، تحت لوحة رقم الطغراء، كما سبقت الإشارة.

وقد جاء الرقم نافراً في هذه اللوحة الرخامية البيضاء، والتي تبلغ أبعادها، مائة وخمسة سنتمترات طولاً أفقياً، وعرضها بلغ واحداً وستين سنتمتراً في وضع رأسي. وقد أحيطت بازار نافر من جسمها. جاء نص الرقم في أربعة سطور، تفصل بينها خطوط نافرة بلغ عرض

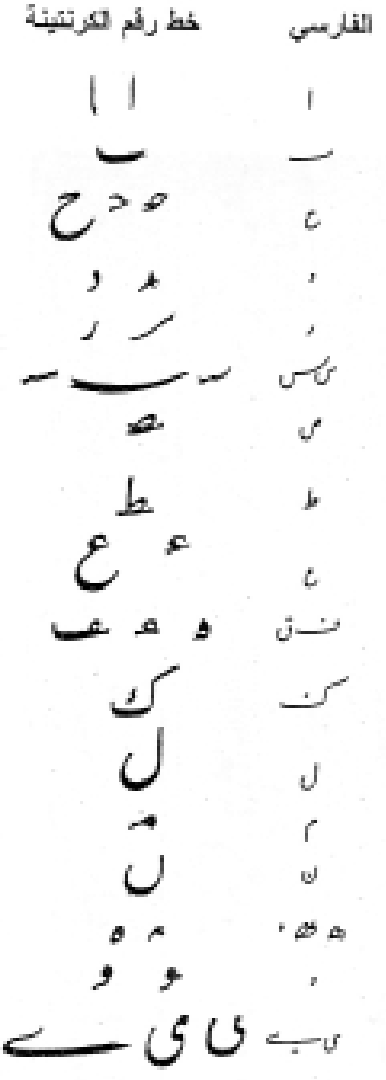

خط رقم الكرنتينة الفارسي.

الخط منها حول سنتمتر وثلاثة أعشار السنتمتر، يلتقي كل منها بازار اللوحة من الطرفين على شكل ربع دائرة ترتبط من الطرفين بالازار بزاويتين قائمتين، وهذا نفذ بأسلوب هندسي دقيق للغاية، يبعث على الإعجاب بهذه الدقة الفنية المتناهية.

خط الرقم:

حفر الرقم بالخط الفارسي[١١]، وباللغة التركية العثمانية[١٢]، بحيث أن انعام النظر في رسمها، يبرز أهميتها كواحدة من أهم لوحات الرقوم الحجرية من طراز الخط الفارسي الجميل، لما جاء فيه هذا الخط من إبداع وإتقان، جعله آية في الروعة والجمال، بحيث رسمت حروفة معجمة تماماً، ومتناسقة في كلمات متلاحقة من غير تداخل ولا تراكب، مما جعل نص الرقم واضحاً سهل القراءة، ولبيان دقة الكاتب والنقاش في تنفيذ رسمهما لهذا الرقم، نضع حروفه أمام حروف الخط الفارسي، في هذه المصفوفة، بحيث تتضح المطابقة الكبيرة بين حروف الرقم، وبين ما يقابل كل منها في الخط الفارسي.

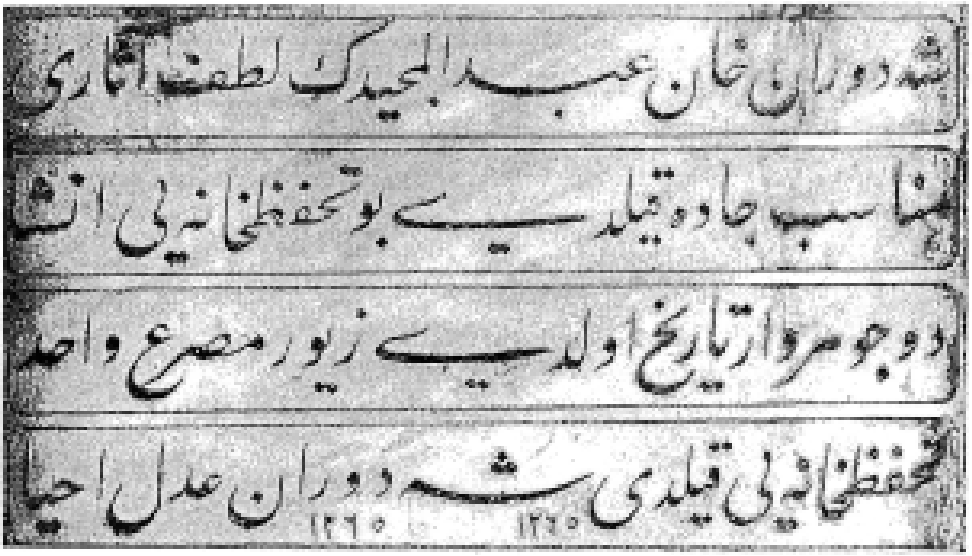

صورة رقم الكرتنينة العثماني

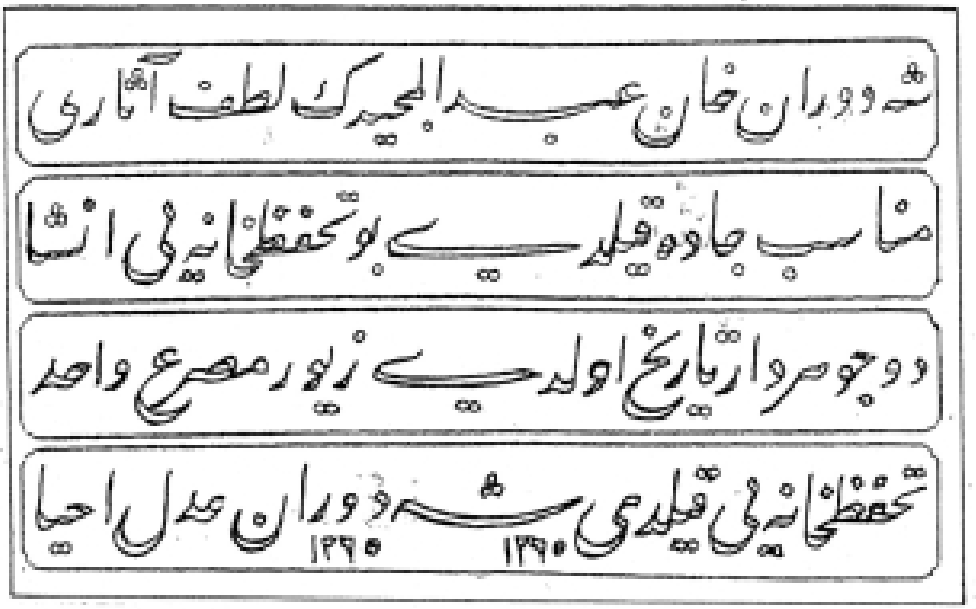

الرسم التفريغي لرقم الكرنتينة العثماني

نص الرقم بالتركية العثمانية:

شه دوران خان عبد المجيدك لطف آثارى
مناسب جاده قيلدى بو تحفظخانه يى انشا
دوجو مردار تاريخ اولدي زيور مصرع واحد
تحفظانه يى قيلدى شه دوران عدل أحيا
١٢٦٥ ١٢٦٥ .

ترجمة النص باللغة العربية:

" أَنْشَأَ سُلْطَانُ البلاد عبدُ المَجيد خَان مُحيي العَدْل[١٣]، هَذَا الحَجْر الصِّحّيَّ والذي يُعْتَبَرُ مَن مَآثره العَظيمَةَ، أَنْشَأَهُ ببَابَ واحد وَزَيَّنَهُ باسْمه، سنة ١٢٦٥هـ.

واضح من الترجمة العربية لهذا الرقم، أَنَّ الكرنتينة انشئت على يدي السلطان عبد المجيد بن محمود العثماني، كمؤسسة للحجر الصحي، كانت مهمة في زمانها، وانه جعل حولها

سوراً له باب واحد فقط، زين هذا الباب بتوقيع اسمه (الطغراء)، وبهذا التوثيق الذي يؤرخ لسنة الإنشاء، وهي ١٢٦٥هـ - ١٨٤٨م. وهذا ما يلاحظ في صُورة ورسم الرقم.

تكمن أهمية هذين الرقمين في كونهما توثيقاً يسجل لواحد من المعالم الحضارية الإنسانية في خليل الرحمن، هذا من جهة، ومن جهة اخرى، فإن هذين الرقمين، يشكلان آية من آيات الخط العربي في طرازين، الأول الطغراء، والثاني لوحة الخط الفارسي، هذا فضلاً عن نص التوثيق الذي جاء باللغة التركية العثمانية. ولما كانت لوحتا الرقمين في حال جيدة، فيجب المحافظة عليهما من ضمن رقوم كثيرة في بلادنا، تلك الرقوم التي تعتبر شواهد على وجودنا المتواصل على هذه الأرض، عبر العصور المختلفة رغم عوادي الزمن.

الهوامش:

(١) زين الدين المصرف: مصور الخط العربي، ص٣٨٢ وما بعدها.

(٢) زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٤٤٧.
نقلاً عن (تركلر ده ديني رسلمر، استانبول – ١٩٦٧م).

(٣) محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، مادة (طغرا).

(٤) جيمس رد حاوص: توركجة – انكليزجه، (قاموس تركي (عثماني) – انجليزي – عربي)، مادة (طغرا).

(٥) بطرس البستاني: محيط المحيط، مادة (طغر).

(٦) زين الدين المصرف: مصور الخط العربي، هامش ص٣٨٠.

(٧) عبد المجيد بن محمود الثاني: هو السلطان العثماني الذي حكم ما بين عامي: ١٢٥٥ و ١٢٧٧ للهجرة، وفق ١٨٣٩ و ١٨٦٠ للميلاد. اشتهر بالإصلاحات الإدارية، والعسكرية والقضائية، واصلح أحوال موظفي الدولة منعاً للرشوة، ثم ادخل نظام القسم أمام العلماء لشغل الوظائف الرسمية في الدولة. (عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص٢٩٢, ٣٢٤, ٣٢٦).

(٨) خان: لقب قبلي قديم ثم شاع في وصف أمراء الترك والمغول، منذ القرن الاول الهجري، السابع الميلادي، وهو يعني بالعربية: (الرئيس)، هذا حسب (حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص٢٧٤). ويوجد في اللغة الفارسية بمعنى: (الأمير، والحاكم، والعظيم) حسب ما ورد في المعجم في اللغة الفارسية، لمحمد موسى هنداوي، ماده، (خان). وفي التركية العثمانية، يوجد كلقب للسلطان حسب ما جاء في قاموس توركجه – انكليزجه، لرد حاوص. وقاموس علاوة لي منتخبات لغات عثمانية لجل داولي.

(٩) السلطان محمود الثاني: ابن السلطان عبد المجيد الأول العثماني، وقد تولى الحكم فيما بين عامي: ١٢٢٣ و ١٢٥٥ للهجرة، وفق ١٨٠٨ و ١٨٣٩ للميلاد. (عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص٣٢٠, ٣٢٢).

(١٠) دام مظفراً: هذه العبارة تلحق باسم صاحب الطغراء، كما ان البعض كان يضعها بأسلوب آخر وهو (المظفر دائماً)، كما جاءت في ختام طغراء السلطان سليمان القانوني. (زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، ص ٤٧٧)، وكلمة مظفر، شاعت كلقب له مدلول حربي، يعنى النصر أو الدعاء به من الوجهة الدينية، بمعنى أن من يلقب به مؤيد بالنصر من عند الله، وهو لقب شاع في العصور الإسلامية منذ العصر العباسي، حتى شاع في الفترة المملوكية، ومن بعد في الفترة العثمانية، بحيث صار من الالقاب السلطانية، حتى ان كبار العسكريين لقبوا به. (حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٤٧٣, ٤٧٤).

(١١) الخط الفارسي: هذا الخط اختص باللغة الفارسية أصلاً، حين ابتكر بصورة سهلة سلسة من حيث

تنفيذ رسم الحروف فيه، فهو خط واضح بسيط، يبتعد عن التعقيد والزوايا ومظاهر التزويق، وقد اخذت به اللغة التركية العثمانية في فترة ازدهارها.

(١٢) اللغة التركية العثمانية: كانت هذه اللغة لغة الخلافة العثمانية الرسمية، بل تعتبر أكثر اللهجات التركية دقة في التعبير وسعة في الانتشار، وقد رسمت هذه اللغة بالرسم العربي من مختلف الخطوط، وان كان الخط الفارسي أكثرها استخداماً. وبقيت العثمانية تكتب بالرسم العربي، الى مطلع القرن الماضي، أثر انتهاء عهد الخلافة، ليتم التحول بها إلى الرسم اللاتيني، على يد مصطفى كمال أتاتورك.

(١٣) محيي العدل: من ألقاب السلاطين والحكام المسلمين، ليبرزوا حرصهم على إقامة العدل بين الناس، وأول من اطلق على نفسه هذا اللقب، الملك الإشراف شعبان المملوكي، كما جاء في نقش مدرسته في القاهرة، والمؤرخ في عام ٧٧٠هـ، وفق١٣٦٨ م. (حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٤٦٤).

المراجع:

١) بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٩٨.

٢) جل داولي: علاوة لي منتخبات لغات عثمانية، (قاموس عثماني –عثماني)، المكتبة العمومية لإبراهيم صادر – بيروت.

٣) جيمس رد حاوص: توركجه – انكليزجه يكانه مكمل لغت كتابي، كاجري ياينلاري (قاموس تركي (عثماني) – انجليزي – عربي)، استانبول.

٤) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية – القاهرة.

٥) عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الأندلس في القدس، مطبعة المعارف – القدس.

٦) محمد موسى هنداوي: المعجم في اللغة الفارسية، مكتبة الانجلو ودار مطابع الشعب – القاهرة.

٧) ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، مكتبة النهضة – بغداد، ودار القلم – بيروت.

٨) ناجي زين الدين المصرف: مصور الخط العربي، منشورات مكتبة النهضة – بغداد، ودار القلم – بيروت.